

# الانهميار الاجتماعي

## مقياس جديد

لا يعيش المجتمع على حال واحدة لا تتغير . فإن ظروفنا كثيرة تطرأ عليه . من رخاء أو كساد ، وحرب أو سلام ، وطمأنينة أو قلق ، ونظام أو فوضى . وجميع هذه الظروف تؤثر فيه بالرقى أو التخلف وبالتماسك أو الانهيار . فكيف نقيس المجتمع ، وكيف نستطيع أن نقول إنه في حال حسنة أو حال سيئة ؟

إننا لكي نصل إلى هذا القياس يجب أن نعرف المجتمع الأمثل ما هو وكيف يتألف . ثم نقيس الانحرافات . ويجب أن نؤمن الانحرافات التي يمكن قياسها بالأرقام حتى لا نتورط في الآراء والميول ، وحتى لا نستسلم لخداع الوهم . فليس أحد يشك مثلاً في أن الجنايات في أمة ما يمكن قياسها بالأرقام . وأن المجتمع الأمثل هو الذي تنقص الجنايات فيه عن غيره . وكذلك الشأن في الصحة وغير ذلك . ولكن ما هي وحدة المجتمع ؟ هل هي الفرد أم العائلة ؟ أى هل يجب أن يكون قياسنا للانحرافات قياساً قائماً على عدد الأفراد المنحرفين ، أم على عدد الأسر التي ظهر فيها هؤلاء المنحرفون ؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول إن في الولايات المتحدة هيئات مختلفة تبحث هذا الموضوع ، وهي ترى أن العائلة هي وحدة المجتمع وهي التي يجب أن تكون أساس الإحصاءات التي تبين لنا حاله من تماسك أو انهيار . فالجناية التي تقع في أمة ما ليست في الحقيقة جناية فرد وإنما هي مرض له جراثيمه ، فيجب أن تكلف هذه الجرائم في بيتها الأصلية ، وليس في الفرد المريض بها وحده . فإذا نقشت حمى التيفوئيد فإنا نقتل كل شيء نزل المريض حتى نمنع عدواه عن سائر من في المنزل أو ننقله إلى المستشفى . ولكن هذا الاجراء لا يكفي لأننا نحتاج لمكافحة هذه الحمى إلى أن نجث عن الجرائم في الماء أو اللبن أو الذباب أو المجاري . وإذا لم تقصد إلى جميع هذه الأشياء ونظهرها فإن معالجتنا للشخص المريض نفسه لا تجدى كثيراً .

وهذا هو الشأن في الانحرافات الشخصية . فانها جميعها ثمرة البيئة العائلية . وعلى هذا الأساس يجب أن نجعل العائلة أصلاً لجميع الإحصاءات التي تدل على الصحة الاجتماعية . وترى هذه الهيئة أن قياس العائلات يجب أن ينظر فيه إلى هذه الأمراض السبعة :

- ( ١ ) جرائم الصبيان ( ٢ ) جرائم الكبار ( ٣ ) المرض العقلي ( ٤ ) الطلاق ( ٥ ) العجز عن العمل الكاسب ( ٦ ) الإهمال أى ترك العضو العائل أعضاء الأسرة من زوجة أو أولاد وامتناعه من أن يعولهم ( ٧ ) نقص العقلي .

ويرى القارئ في هذه الأمراض أنه لا يمكن أن يسأل عن واحد منها فرد لأنها جميعها جرائم مشتركة بين اثنين أو أكثر أو هي نقص ورأى يتكون في العائلة . فيجب أن ترد نتائج الاحصاءات الى العائلة . بجرائم الصبيان مثلا هي نتيجة لإهمال الآباء أو للتيم أو للقسوة . وجرائم الكبار قد تكون النمو الطبيعي لانحرافات صغيرة مدة الطفولة . والمرض العقلي هو ثمرة العائلة ، لأنه إما موروث بالدم وإما مكتسب من الأخطاء في المعيشة البيئية . والطلاق هو آخر مرحلة لشقاق قد مضت عليه سنوات بين الزوجين . والعجز عن العمل الكاسب هو ثمرة الإهمال في التربية أو العادات السيئة للمعيشة . وتقصير العضو العائل للأسرة في اعادة سائر الأعضاء يدل على أسوأ العواطف بينه وبينهم . والتقصر العقلي ، مثل القلق النفسى أو البلاهة الموروثة أو غير ذلك من الأمراض النفسية أو العصبية ، لا يمكن الا أن يكون مرضا عائليا إذ هو ينشأ بالتراوج والوراثة البيولوجية .

وهنا يجب أن ننتح معنى « العود » في الجريمة . فإننا لانسم أحد المجرمين بالعود الا اذا وقع هو نفسه في الجريمة مرتين . ولكن مادما قد جعلنا العائلة أساسا للانبيار الاجتماعى فان العود يصبح عندما يقع من شخصين مختلفين ولكنهما من عائلة واحدة ، فاذا وقع من خمسة أفراد في جرائم مختلفة وكان كلهم عضوا بعائلة واحدة ، فان كل فرد لا يعد عائدا في نظرنا الحاضر لمعنى العود ولكن العائلة بالنظر الجديد لهذا المعنى توسم بالعود خمس مرات . وهذا للنظر حسن ومعتدل ، لأننا عندما نريد علاج هذه الجرائم لا يصح أن نعالجها في الفرد ولكن في العائلة ، وعندئذ ينبج لنا معنى جديد للوقاية الاجتماعية وهو أن تؤسس الطمانينة والصحة الاجتماعية في البيئة العائلية . ولا نعالج الفرد بل نعالج العائلة . ففى الوقت الحاضر عندما نرى صبيا عاصيا أو مجرما نرسله الى الإصلاحية ، ولكن البيئة التى جعلت هذا الصبي يخرف لا تزال قائمة في عائلته تربي غيره مثل تربيته وتقوده الى الطرق المعوجة . فبالنظر الجديد يجب أن نعمل الى هذه العائلة ونصلح ما فيها من طرق معوجة .

لقد ذكرنا الأمراض السبعة التى يمكن أن يقاس بها الانبيار الاجتماعى كما يفهمه المجتمع الأمريكى . وهو بالطبع يختلف عن مجتمعا . ولكنا ذكرناها طريقة للبحث يمكن الاستفارة بها . فان هذه الجرائم تخصى جميعها ثم تستخرج منها الأرقام المثوية الى عدد العائلات فى المدينة أو القطر فتقاس بذلك درجة التماسك أو الانبيار الاجتماعى . وعندئذ يعرف المجتمع الحسن بقله جرائمه السبع هذه ، كما يعرف المجتمع السيئ بكثرتها ، وتقاس سائر المجتمعات بين هذا أو ذاك بدرجات متفاوتة . وبالوقوف على هذه الأرقام تتضح لنا طرق العلاج من إيجاد أندية للصبيان الى توفير المدارس ، الى بناء المنازل ، بل لعل العلاج يرشدنا الى طرق جديدة لمكافحة التعطل أو الى التربية الحرفية أو الى المعالجة النفسية .